الباب الثالث

خطورة النفاق والمنافقين، وكيفية التعامل معهم

انظر الدليل المرفق

obeikandl.com

المبحث الأول

خطورة النِّفاق والمنافقين

قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾:

لقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه عداوة الشيطان، وعداوة اليهود، والذين أشركوا.

فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (يس)، وقال سبحانه: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ... ﴿٨٢﴾ ﴾ (المائدة).

إن المنافقين هم أشد أعداء الأمة الإسلامية، وأخطرهم عليها، فهم يتلوَّنون حسب البيئة، يظهرون بمظهر الأخ المشفق، بينما هم ذئاب في جلد بني الإنسان، يحسبهم الظمآن ماء، يظنهم المؤمن عونًا له، وهم عونٌ عليه، يحسبهم له ناصحين، وهم هلاكه ودماره: ساعون في الأرض بالفساد. قلَّما يخلو منهم مجتمعٌ أو نادٍ، يعملون من وراء الكواليس، ومن خلف الصفوف.

خطورتهم أفظع من أن توصف، وأكبر من أن تتسع لها الصفحات وبطون الكتب. يكفيك قول ذي الجلال والإكرام:

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (التوبة).

قال الحسن البصري، التابعي الزاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

[إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَمْ يَأْخُذْ دِينَهُ عَنِ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ اللهِ ﷻ فَأَخَذَهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَعْطَى النَّاسَ لِسَانَهُ، وَمَنَعَ اللهَ قَلْبَهُ وَعَمَلَهُ. فَحَدَثَانِ أُحْدِثَا فِي الْإِسْلَامِ: رَجُلٌ ذُو رَأْيٍ سَوْءٍ زَعَمَ أَنَّ الْجَنَّةَ لِمَنْ رَأَى مِثْلَ رَأْيِهِ، فَسَلَّ سَيْفَهُ، وَسَفَكَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَاسْتَحَلَّ حُرْمَتَهُمْ، وَمُتْرَفٌ يَعْبُدُ الدُّنْيَا، لَهَا يَغْضَبُ، وَعَلَيْهَا يُقَاتِلُ، وَلَهَا يَطْلُبُ.

وَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللهِ! مَا لَقِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنْ مُنَافِقٍ قَهَرَهَا، وَاسْتَأْثَرَ عَلَيْهَا، وَمَارِقٍ مَرَقَ مِنَ الدِّينِ فَخَرَجَ عَلَيْهَا. صِنْفَانِ خَبِيثَانِ قَدْ غَمَّا كُلَّ مُسْلِمٍ.

يَا ابْنَ آدَمَ، دِينَكَ دِينَكَ، فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمُكَ وَدَمُكَ، فَإِنْ تَسْلَمْ بِهَا فَيَا لَهَا مِنْ رَاحَةٍ، وَيَا لَهَا مِنْ نِعْمَةٍ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَنَعُوذُ بِاللهِ فَإِنَّمَا هِيَ نَارٌ لَا تُطْفَأُ، وَحَجَرٌ لَا يُبْرَدُ، وَنَفَسٌ لَا تَمُوتُ][1].

وما أبدعَ وأشملَ قولَه!!، حيث يقولُ:

---

(١) صفة النِّفاق وذم المنافقين، لأبي جعفر بن محمد الفريابي، ت:(٣٠١هـ)، ح (٤٩)، ص (٩٤).

[إِنَّمَا النَّاسُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ: مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ وَكَافِرٌ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَعَامِلٌ بِطَاعَةِ اللهِ ﷻ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَقَدْ أَذَلَّهُ اللهُ تَعَالَى كَمَا رَأَيْتُمْ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَهَهُنَا وَهَهُنَا فِي الْحَجَرِ وَالْبُيُوتِ وَالطُّرُقِ نَعُوذُ بِاللهِ. وَاللهِ مَا عَرَفُوا رَبَّهُمْ بَلْ عَرَفُوا إِنْكَارَهُمْ لِرَبِّهِمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةِ. ظَهَرَ الْجَفَا، وَقَلَّ الْعِلْمُ، وَتُرِكَتِ السُّنَّةُ. إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، حَيَارَى سُكَارَى، لَيْسُوا بِيَهُودَ وَلَا نَصَارَى وَلَا مَجُوسَ فَيُعْذَرُوا (أي بكفرهم)] (١).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِيكُمُ الْيَوْمَ، شَرٌّ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... لِأَنَّ أُولَئِكَ كَانُوا يُسِرُّونَ نِفَاقَهُمْ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ أَعْلَنُوهُ](٢).

رَحِمَ اللهُ الإمامَ الحسنَ البَصْرِيَّ فكأنه يعيش زماننا هذا الذي ساد فيه المنافقون، وتكلَّم الرُّوَيْبِضَةُ، وائتُمن الخائن، وخُوِّن الأمين، وطُلِبَت الدنيا بالآخرة، وأصبح الإجلال والتوقير للسُّفهاء، ومَن يُسَمَّوْن بـ (أهل اللهو والكرة)، ولم يَنَلْ أهل العلم والتُّقَى والخير حظٌّ من التوقير والإجلال.

---

(١) صفة النِّفاق وذم المنافقين، رقم (٤٩)، ص (٩١).

(٢) أخرجه وكيع في الزهد، رقم (٤٧٥)، وابن أبى شيبة في المصنف، (٣٧٣٩٦).

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [إِنَّمَا كَانَ النِّفَاقُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا اليَوْمَ فَإِنَّمَا هُوَ الكُفْرُ بَعْدَ الإِيمَانِ](١). وذلك لأنهم كانوا يُخْفون نفاقهم في عهد قوة الإسلام وظهوره، ثمَّ صاروا يُعلِنون النِّفاقَ في عهود ضَعْف الإسلام وخُمولِهِ.

وكَانَ الْحَسَنُ البصرِيُّ يَقُولُ: [إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا رَأَوْا هَذَا النِّفاق يَغُولُ الْإِيمَانَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرَ النِّفاق](٢).

وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ، قَالَ: كَانَ بَعْضُ الْمُهَاجِرِينَ يَقُولُ: [وَاللهِ مَا أَخَافُ الْمُسْلِمَ وَلَا أَخَافُ الْكَافِرَ. أَمَّا الْمُسْلِمُ فَيُحْجِزُهُ إِسْلَامُهُ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَقَدْ أَذَلَّهُ اللهُ ﷻ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِالْمُنَافِقِ؟](٣).

وتتبين خطورة هذه الفئة من المنافقين في أن أمرهم قد يختلط على المسلمين، كما أن من هؤلاءِ من قد يتَّخذ من التديُّن والتعبُّد والمجاهدة ستارًا لأعمالهم ونفاقهم، فهم يعملون في الخفاء، ومن وراء الكواليس، ويَنْدَسُّون بين صفوف المؤمنين، يوقعون الفتنة بينهم، ويشيعون الفشل في صفوفهم، لكن حكمة الله ﷻ اقتضت

---

(١) أخرجه البخاري، ك: الفتن، ب: إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه، (٧١١٤).
(٢) صفة النِّفاق وذم المنافقين للفريابي، ح (٧٦)، ص (١١٩).
(٣) المصدر السابق، ح (٥٩)، ص (١٠٢).

أن يُخرج الله تعالى أضغانهم.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ (محمد).

وقد أخرج الله تعالى أضغان هؤلاءِ القوم بما أنزله من بيان واضحٍ كافٍ ووافٍ في كتابه الكريم، تبيانًا لقبيحِ صفاتهم، وسوءِ فعالهم، حتى أصبح أمرهم معلومًا وواضحًا كالشمس في رابعة النهار، لكنه قد يَعمَى أمرهم على من طُمِسَتْ بصيرتُهم.

وقد نزلت سورة التوبة (الفاضحة) تفضح أمرهم، وتهتك أستارهم، وتكشف لنا ما انطوت عليه نفوسهم، حتى لم يَعُدْ عسيرًا على المسلم الصادق أن يتفرَّس في حركات الرجل وأعماله، وفلتات لسانه، وما يظهر على صفحات وجهه، فيدرك خطورة أمره، وسوء ما انطوت عليه نفسه.

وفي الحكمة: « ما أَسرَّ عبدٌ سريرةً إلا أبداها اللهُ على صفحاتِ وجهِهِ، وفَلَتاتِ لِسانِهِ ».

﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾.

كما يكمُن خطر النِّفاق في أنه قد يجمع معه الكفر: ﴿**كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ**﴾ **(آل عمران: ٩٠)**. وقد يجمع معه الفسق والظلم،والنِّفاق يجعل الأخ عدوًا والعدو صديقًا فهو عمى وضلال، وقد يدفع النِّفاق المرء إلى المادية فيشقى بماله وولده، والنِّفاق لا يخدم إلا مصالح الأعداء قبل مصلحة الدين والوطن.

والنِّفاق نوع من التمرد على الله ورسوله وكتابه، وهم يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة، وأوزار كل من افتُتِنَ بهم، وأُعجِب بحالهم، وسار في دربهم.

كما أن النِّفاق إفساد في الأرض، يخادعون به الله ﷻ والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم.

❁ ❁ ❁

﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾.

ومما زاد من خطورة النِّفاق وخطر المنافقين ظهور الأئمة المضلين والعلماء الزائفين عن الحق، وأمراء الجور الذين يضعفون أركان الإسلام ويعطِّلونها باسم الإسلام.

عَنْ زِيَادِ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ: أَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لِي: [هَلْ تَدْرِي مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ يَهْدِمُهُ زَلَّةُ عَالِمٍ، أَوْ جِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَحُكْمُ الْمُضِلِّينَ][1].

قال الطيبي: «المراد بهدم الإسلام تعطيل أركانه الخمسة، وتعطيله إنما يحصل من زلة العالم، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، باتباع الهوى، ومن جدال المبتدعة وغلوهم في إقامة البدع بالتمسك بتأويلاتهم الزائفة، ومن ظهور ظلم الأئمة المضلين، وإنما قدِّمت زلَّة العالم، لأنها هي السبب في الخصلتين الأخيرتين »[2].

وما أكثرَ هؤلاءِ اليوم! أحسنوا زخرفة الألفاظ وأساءوا العمل، وتسلَّقوا منابر شتى، وأعملوا معول الهدم في دين الأمة، تارة باسم العقل، وتارة باسم الاعتدال، وتارة باسم التقدم وعدم الرجعية، وتارة باسم نبذ التطرف والإرهاب، وتارة باسم متطلبات العصر.

لقد ابتليت الأمة الإسلامية بقُرَّاء أتقنوا الألفاظ والحروف، ولم

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٩٦) والخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه) (١/ ٥٩٥) وإسناده صحيح.
(٢) مرقاة المفاتيح (١/ ٣٥٦).

يُحسنوا العمل بالقرآن والسنة، وكثير منهم ابتُلي بالبدع، وسماع الغناء، وشرب الدخان، تاجروا بكتاب الله ﷻ، يأكلون به في كل مناسبة (فرح أو حزن).

القرآن عندهم للتطريب والتلحين فحسب، لا للتدبر والتدين والعمل به. يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعًا.

ترى الواحد منهم يستعجل الخير، ويحسد نظراءه، ينظر إلى عمله بعين الإجلال، يتأوَّل القرآن على غير وجهه، أضمر ثناء الناس وعرض الدنيا، يتكبر على الناس، فكأنما جاءه من الله ﷻ منشور بدخول الجنة والبراءة من النار، كأنه استيقن السعادة لنفسه، والشقاوة لسائر الناس.

أما أولئك الذين يقرءون القرآن ويتلونه حق تلاوته، يُحلون حلاله، ويحرِّمون حرامه، يعملون ويجاهدون به في النهار، أخذوه بقوة فدرسوه وتعلموه، وعملوا به وعلموه وبلَّغوه لغيرهم. أولئك هم أهل الله ﷻ وخاصَّته، وأولئك هم أهل القرآن حقًّا (جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم في الفردوس الأعلى. آمين).

ونحن مطالبون بمعرفة سُبُلِ الشرِّ كي نتجنَّبها، وبالضِّدِّ تُعرَف الأشياء:

- فَمَنْ لا يَعْرِفُ الكفرَ وأهلَه.. لا يَصِحُّ مِنْهُ التوحيدُ.
- ومَنْ لا يَعْرِفُ الجاهليةَ.. لا يَصِحُّ مِنْهُ الإيمانُ والتقوى.
- ومَنْ لا يَعْرِفُ النِّفاقَ.. لا يَصِحُّ مِنْهُ الإسلامُ.
- ومَنْ لا يَعْرِفُ الرياءَ.. لا يَصِحُّ مِنْهُ الإخلاصُ، وهكذا.

فكثير من الناس اليوم قد يقع في كفر الشرك، أو كفر النِّفاق، أو كفر الاستهزاء، أو كفر التشريع، أو الجاهلية، وهو يظنها من الإسلام، أو يحسب أنه على هدى. وصدق الله إذ يقول: ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾** ﴾ (يوسف).

- وليس أضرَّ على الأمم والشعوب من أمرين:

الأول: الذنوب المُهلِكة للأمم والشعوب.

الثاني: النِّفاق والمنافقون. ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾.

فعداوة الشيطان والكفار واضحة بينة، أما هؤلاءِ فعداوتهم مزدوجة، وهم أعوان الشياطين والكافرين على المؤمنين.

فأيُّ اعوجاجٍ في الأخلاق.. تَجِدْهُمْ وراءَه.

وأيُّ اضطرابٍ في أحوال الناس وسبل معايشهم.. تَجِدْهُمْ وراءَه.

وأيُّ فقدانٍ للثقة، وتفريق وعداوة بين الأخ وأخيه، والرجل وزوجه وولده.. هُمْ مِنْ وَرائِهِ.

وأيُّ فقدانٍ للأمن والاستقرار، وغلاء للأسعار، وانتشار للفواحش.. تجدهم هُمْ وراءَه.

وأيُّ كذبٍ في الإعلام والصحافة، وتأجيج لنار الفتنة.. هُمْ مِنْ وَرائِهِ. ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

وأيُّ تعطيلٍ لشرع الله تعالى، وحرمان للناس من الأمن الحقيقي من الجريمة والبلطجة.. هُمْ وراءَه.

وأيُّ إرهابٍ مصطَنَع.. هُمْ وراءَه.

وأيُّ فسادٍ في المجتمع، وسرقة لثرواته، ونهبها، وتهريبها لبنوك الأعداء والحاقدين.. هم وراءَه.

وأيُّ تعطيلٍ لعجلة الإنتاج، وتقدم الأمة ونهضتها.. هُمْ وراءَه.

وأيُّ سخريةٍ واستهزاء من الدين وأهله المسلمين، والعمل على الوقيعة بينهم.. هُمْ وراءَه.

وأيُّ جاسوسٍ وخائن للوطن خيانة عظمى.. هُمْ وراءَه.

وأيُّ فتنة تقع بين الناس، تدع الحليم حيران.. هُمْ وراءَها.

۞ ۞ ۞

المبحث الثاني

فيمن كان يخاف على نفسه النِّفاق، ويُشفِق منه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا}**(١).

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: [يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَسَاجِدِ لَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ](٢).

وقد كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخافون على أنفسهم النِّفاق أيَّما خوفٍ.

قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: « أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ح (١١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم (٨٣٦٥)، وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وابن أبي شيبة في مصنفه، رقم (٣٠٣٥٥)، والآجري في الشريعة، رقم (٢٣٦).

يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ »(١).

وكان من دعائهم: [اللهم إني أعوذ بك من خشوع النِّفاق].

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: [تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قِيلَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا، وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ](٢).

وعن جبير بن نفير قال دخلت على أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منزله بحمص فإذا هو قائم يصلي في مسجده، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق، فلما انصرف قلت له: غفر الله لك يا أبا الدرداء، أما أنت والنفاق، ما شأنك وشأن النفاق؟! فقال: [اللهم غفرًا، (ثلاثًا) لا يأمن البلاء من يأمن البلاء، والله إن الرجل ليفتن عن ساعة واحدة فيقلب عن دينه](٣).

وقال أيضًا: [وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَمِنَ عَبْدٌ عَلَى إِيمَانِهِ إِلاَّ سُلِبَهُ

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا، ك: الإيمان، ٣٦- ب: خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، ح (٣٥٧١١)، وابن المبارك في الزهد والرقائق، ح (١٤٣)، والبغوي في شرح السنة، ح (٤١٣٨).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٨٢).

أَوِ انْتُزِعَ مِنْهُ فَيَفْقِدُهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا الإِيْمَانُ إِلاَّ كَالقَمِيْصِ يَتَقَمَّصُهُ مَرَّةً، وَيَضَعُهُ أُخرَى][1].

وقال أَبو أَيُّوْبَ الأَنْصَارِيَّ، يَقُوْلُ: [لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الرَّجُلِ أَحَايِيْنُ، وَمَا فِي جِلْدِهِ مَوْضِعُ إِبْرَةٍ مِنَ النِّفَاقِ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَيْهِ أَحَايِيْنُ، وَمَا فِيْهِ مَوْضِعُ إِبْرَةٍ مِنْ إيمان][2].

وقال عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: [كَانَ النِّفَاقُ غَرِيبًا فِي الْإِيمَانِ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ غَرِيبًا فِي النِّفَاقِ][3].

وقال الحسن البصري: [إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا رَأَوْا هَذَا النِّفَاقَ يَغُولُ الْإِيمَانَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ هَمٌّ غَيْرَ النِّفَاقِ][4].

وعَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ البصري يَحْلِفُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ بِالله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ [مَا مَضَى مُؤْمِنٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ مِنَ النِّفَاقِ مُشْفِقٌ وَلَا مَضَى مُنَافِقٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ مِنَ النِّفَاقِ آمِنٌ]، وَكَانَ يَقُولُ: [مَنْ لَمْ يَخَفِ النِّفَاقَ فَهُوَ مُنَافِقٌ][5].

---

(١) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٣).
(٢) المصدر السابق (٨/ ٢٨).
(٣) صفة النِّفاق وذم المنافقين للفريابي رقم (٧٣)، ص (١١٧).
(٤) المصدر السابق، رقم (٧٦)، ص (١١٩).
(٥) المصدر السابق، رقم (٨١)، ص (١٢١).

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: [لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَخْوَفَ عَلَى مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (البقرة)] (١).

وقال بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ: [لَا تَكُنْ وَلِيًّا لله ﷻ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَعَدُوَّهُ فِي السِّرِّ](٢).

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ: [مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا](٣).

وعَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحاقة): [إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَسَاءَ الظَّنَّ فَأَسَاءَ الْعَمَلَ](٤).

وقال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ: [إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُقِلُّ

---

(١) المصدر السابق، رقم (٨٣) ص (١٢٣)،
ونضيف آية أخرى في ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (التوبة).
(٢) المصدر السابق، رقم (٨٥) ص (١٢٥)، والسِّيَر (٩/ ٤٠٧)، والحلية (٥/ ٢٢٨).
(٣) المصدر السابق، رقم (٨٩)، ص (١٢٩)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ٢٩٢).
(٤) المصدر السابق، رقم (٩٠)، ص (١٢٩)، والحلية (٢/ ١٤٤).

الْكَلَامَ وَيُكْثِرُ الْعَمَلَ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يُكْثِرُ الْكَلَامَ وَيُقِلُّ الْعَمَلَ][١].

عَنْ أَبِي مُلَيْكَةَ الذِّمَارِيِّ، قَالَ: [إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ عَلَى الْإِمَامِ فَمَا يَخْرُجُ إِلَّا مُشْرِكًا أَوْ مُنَافِقًا، إِنْ أَعْطَاهُ نَسِيَ الَّذِي أَعْطَاهُ وَحَمِدَهُ، وَإِنْ مَنَعَهُ خَرَجَ يَذُمُّهُ وَيَعِيبُهُ، فَإِذَا فَعَلَ هَذَا بِالْإِمَامِ فَقَدْ نَافَقَ وَأَشْرَكَ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُ وَيُعْطِي اللهُ ﷻ][٢].

وقال الحسن البصري: [لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَوْمٍ مُنَافِقُوهَا][٣].

(١) المصدر السابق، رقم (٩١)، ص (١٢٩).
(٢) المصدر السابق، رقم (١٠٥)، ص (١٤١).
(٣) المصدر السابق، رقم (١١٠)، ص (١٤٥).

obeikandl.com

المبحث الثالث

دور النِّفاق في الردة على عهد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

النِّفاق هو أكبر دافع للخروج عن تعاليم الإسلام، وتجاوز حدوده، والثورة على نصوصه وأحكامه. فلا يخرج عن الإسلام وتعاليمه مؤمنٌ عمَرَ قلبَهُ بالإيمان، ولم يَرْتَدَّ رجلٌ امتلأ قلبُه باليقين، وانقشعت أمامَه سُحُبُ الضلال والظلم.

والذين ارتدُّوا عن الإسلام أحد اثنين: (من كان في قلبه مرض النِّفاق والشكِّ)، أو (مَن ضَعُفَتْ عقيدتُه، وأسلم رغبة في مغنم، أو رهبة من مَغرم يلحَق به، وهذا من النِّفاق أيضًا).

لقد أعلنوها حربًا، وأرادوها فتنة بعد موت النبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن سرعان ما خرجت عليهم ليوث الإسلام وأسُوده، وسلَّطت على رقابهم السيوف، فما استطاعت تلك الذئاب الضارية أن تصمُد أو تقاوِم، وثبت الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أمة وحده، وكان عصره أزهى عصور الإسلام، وأقواها بعد عصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد خالفه بعض الصحابة ابتداءً في قتال مانعي الزكاة، فأبى إلا أن يقاتلهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى الله }**، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [وَالله لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ]، فَقَالَ عُمَرُ: [فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ

كما طالبوه بعدم إنفاذ بعث جيش أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ليعود إلى المدينة حتى تستقرَّ الأمور، ويستَتِبَّ الأمن، وتؤدَّب قبائل غطفان التي تهدِّد المدينة النبوية، فأصر على بعث جيش أسامة، وخرج معه ليودعه، وحارب غطفان ومن عاونها، وغنم من ورائها خيرًا كثيرًا، وحارب المرتدين ومانعي الزكاة وانتصر عليهم، وعاد أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا منتصرًا، ومعه غنائم عظيمة.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الاعتصام بالكتاب والسنة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٧٢٨٤)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ح (٢٠).

المبحث الرابع

كيف نتعامل مع المنافقين؟

أولا: عدم المجادلة أو الدفاع عنهم، وجواز سبِّ من يجادل عنهم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت تروى حادث الإفك:

[... فَقَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: { يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا

مَعِي}. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ الله إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ـ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ـ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ الله لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ الله قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ](١).

قال النووي: « جَوَازُ سَبِّ الْمُتَعَصِّبِ لِمُبْطِلٍ، كَمَا سَبَّ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ لِتَعَصُّبِهِ لِلْمُنَافِقِ، وَقَالَ: «إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»، وَأَرَادَ أَنَّكَ تَفْعَلُ فِعْلَ الْمُنَافِقِينَ، وَلَمْ يُرِدِ النِّفَاقَ الْحَقِيقِيَّ »(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المغازي، ب: حديث الإفك، ح (٤١٤١)، مسلم: ك: التوبة، ب: في حديث الإفك، ح (٢٧٧٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١١٨).

ولقد سكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يُعلِّق على هذه العبارة، لا بالاستنكار، ولا بالاستحسان.

إن المجادلة عن المنافقين والدفاع عنهم ولو كانوا أولى قربى أمرٌ مَنْهِيٌّ عنه.

لذلك أمر الله تعالى باحتقار شأنهم وما هم عليه من أمر الدنيا. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (التوبة).

كما نهى الله سبحانه النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصليَ على أحد مات من هؤلاءِ المنافقين، وفى هذا منتهى الاحتقار والازدراء لهم.

ونحن نعلم أن أولي الطول والمال والولد عادة ما يكونون مَدعاة للإكبار والاحترام، ولكن الآية بها نهي صريح عن ذلك.

نَهْيٌ يتضمَّن احتقارًا وازدراءً لهم؛ لأن أموالهم وأولادهم ليس إلا سببًا من أسباب عذابهم في الدنيا والآخرة، لذلك نهانا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن وصف المنافق بأوصاف التعظيم كـ (سيدنا)، ونحوه.

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَقُولُوا**

لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ ﷻ }(١).

فهم بما يرتكبون من أعمال وجرائم في حق الإسلام والمسلمين لا يستحقون الاحترام والتبجيل.

إن المنافق مهما علت مرتبته عند الناس، ومهما أوتي من أسباب القوة والجبروت فهو حقير عند ربه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥).

ولذا يجب أن يكون محتقرًا من المسلمين، مهانًا بينهم، فلا تبجيل له ولا احترام. وكيف يكون ذلك، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ (الأحزاب).

إذن، فلا سمع ولا طاعة، ولا اعتراف لهم بحقوق الزعامة، أو الرياسة.

يقول الدكتور محمد موسى: « إن حق المنافق التأخير لا التقديم، التحقير لا التعظيم، الهجر لا التقريب، التقريع لا التبجيل، لأنه عدو الله ورسوله، وعدو للمؤمنين، وهذا اللائق بمعاملة أعداء الله والرسول.

فمتى وُسِّد الأمر إلى المنافقين من تقلُّد أمور المسلمين من

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٢٢٩٣٩)، وأبو داوود: ك: الأدب، ب: باب لا يقول المملوك «ربي» و«ربتي»، ح (٤٩٧٧)، وصحَّحه الألباني.

أسباب سخط الله تعالى، وعلامة من علامات الهلاك.

عَنِ الْحَسَنِ البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَوْمٍ مُنَافِقُوهَا »(١). فإلى الله المشتكَى!.

ثانيًا: النَّهْي عن موالاتهم:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُولَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (آل عمران).

قال مجاهد: « نزلت هذه الآيات في النهي عن موالاة المنافقين والركونِ إليهم ».

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (المائدة).

---

(١) صفة النفاق وذم المنافقين، للفريابي، رقم (١١٠)، ص (١٤٥)، وانظر: المنافقون في الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة، د. محمد موسى آل نصر، ص (٦١).

فهذه الآية تنهَى عن موالاة منافقي أهل الكتاب الذين أظهروا الإسلام، ولكنهم أخفَوُا الكفر في قلوبهم، وهم من عامَّة المنافقين، فهم أولياء بعض. قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ (التوبة: ٦٧). فكانت موالاتهم نفاقًا.

لذلك نهى الله تعالى عن الرضا عنهم. قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾(التوبة). فليس من الديانة أن يرضى عبد مؤمن عن قوم أخبر سبحانه وتعالى بأنه غير راضٍ عنهم.

وهذا عمل لا يصدر إلا ممن قلَّ إيمانه، وضعف قلبه، لأن المؤمن يحب من يحبه الله ﷻ، ويبغض من يبغضه الله ﷻ، ويكره من أجله، ويرضى لرضاه، ويغضب لغضبه.

ثالثًا: إخراجهم من ديوان المجاهدين، وعدم قبول عذر من يثبت كذبه من المتخلِّفين منهم: قال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(التوبة).

فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ ألا يقبل واحدًا من

هؤلاءِ الذين تخلفوا نفاقًا في صف الجهاد معه ثانية.

وقال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (التوبة).

فما كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليأمنهم أو يصدقهم بعد ذلك؛ لأنهم أكذب خلق الله جميعًا.

لذلك أمر الله تعالى بالإعراض عن المتخلِّفين عن الجهاد، والمثبِّطين للأمة المسلمة عنه. قال تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (التوبة).

ليس إعراضَ صفحْ ورضا، ولكن إعراض احتقار وازدراء؛ لأنهم رجس لا يستحقون إلا هذه المعاملة القاسية، عقابًا لهم على تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومعصيتهم أمره، ومفارقتهم للجماعة المؤمنة، وجزاء وفاقًا لما حوت قلوبهم من نفاق وكراهية للجهاد في سبيل الله تعالى.

رابعًا: الأمر بجهادهم والغلظة عليهم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ (التوبة)، (التحريم:٩).

فالأمر بجهاد المنافقين صريح وواضح، لا يحتاج إلى تأويل، أو توضيح.

« قالَ أميرُ المؤمنينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: [بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعَةِ أَسْيَافٍ:

١- سَيْفٍ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾

٢- وَسَيْفٍ لكفار أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

٣- وَسَيْفٍ للمنافقين :﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ .

٤- وَسَيْفٍ لِلْبُغَاةِ: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾] .

وهذا يقتضى أنهم يجاهَدون بالسيوف إذا أظهروا النِّفاق.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾: [بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُكْفَهِرَّ فِي وَجْهِهِ].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: [أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالسَّيْف، وَالْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ، وَأَذْهَبَ الرِّفْقَ عَنْهُمْ].

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: بِالْكَلَامِ، وَهُوَ مُجَاهَدَتُهُمْ،...

وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: مُجَاهَدَتُهُمْ إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَيْهِم »(١).

فمن عُلِمَ نفاقُه يقينًا وجب مجاهدته بالسيف، والغلظة عليه قولًا وعملًا، ومن استخفى بنفاقه يُجاهَد بالحُجَّة والبيان واللسان، وندعوه إلى التوبة والدخول في جملة المؤمنين.

وقد دعاهم الله ﷻ إلى التوبة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (النساء)، وقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥٦، ١٥٧)، وهو اختيار ابن جرير.

عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ (التوبة).

قال ابن إسحاق: « وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ يَحْضُرُونَ الْمَسْجِدَ فَيَسْتَمِعُونَ أَحَادِيثَ الْمُسلمين، ويسخرون ويستهزءون بِدِينِهِمْ، فَاجْتَمَعَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ مِنْهُمْ نَاسٌ، فَرَآهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، خَافِضِي أَصْوَاتَهُمْ، قَدْ لَصِقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُخْرِجُوا مِنْ الْمَسْجِدِ إخْرَاجًا عَنِيفًا، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ، خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كُلَيْب، إِلَى عمر بْنِ قَيْسٍ، أَحَدِ بَنِي غَنْم بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ- كَانَ صَاحِبَ آلِهَتِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَذَ بِرِجْلِهِ فَسَحَبَهُ، حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَتُخْرِجُنِي يَا أَبَا أَيُّوبَ مِنْ مِرْبَدِ بَنِي ثَعْلَبَةَ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَبُو أَيُّوبَ أَيْضًا إِلَى رَافِعِ بْنِ وَدِيعَةَ، أَحَدِ بَنِي النَّجَّارِ فَلَبَّبَهُ بِرِدَائِهِ ثم نَتَرَهُ نَتْرًا شَدِيدًا، وَلَطَمَ وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ، وَأَبُو أَيُّوبَ يَقُولُ لَهُ: أُفٍّ لَكَ مُنَافِقًا خَبِيثًا: أَدْرَاجَكَ يَا مُنَافِقُ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أي ارجع من الطريق التي جئت منها).

وَقَامَ عِمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَانَ رَجُلًا طَوِيلَ اللِّحْيَةِ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَادَهُ بِهَا قَوْدًا عَنِيفًا حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ

الْمَسْجِدِ، ثُمَّ جَمَعَ عِمَارَةُ يَدَيْهِ فَلَدَمَهُ بِهِمَا فِي صَدْرِهِ لَدْمَةً خَرَّ مِنْهَا. قَالَ: يَقُولُ: خَدَشْتَنِي يَا عِمَارَةُ، قَالَ: أَبْعَدَكَ اللهُ يَا مُنَافِقُ، فَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ مِنْ الْعَذَابِ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»

وَقَامَ أَبُو مُحَمَّدٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، كَانَ بَدْرِيًّا، وَأَبُو مُحَمَّدٍ مَسْعُودُ بْنُ أَوْسٍ إِلَى قَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ، وَكَانَ قَيْسٌ غُلَامًا شَابًّا، وَكَانَ لَا يُعْلَمُ فِي الْمُنَافِقِينَ شَابٌّ غَيْرُهُ، فَجَعَلَ يَدْفَعُ فِي قَفَاهُ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ.

وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَلْخُدْرَةَ بْنِ الْخَزْرَجِ، رَهْطِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، يُقَالُ لَهُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ، إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ ذَا جُمَّةٍ، فَأَخَذَ بِجُمَّتِهِ فَسَحَبَهُ بِهَا سَحْبًا عَنِيفًا، عَلَى مَا مَرَّ بِهِ مِنْ الْأَرْضِ، حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: لَقَدْ أَغْلَظْتَ يَا ابن الْحَارِثِ، فَقَالَ لَهُ، إِنَّكَ أَهْلٌ لِذَلِكَ، أَيْ عَدُوُّ اللهِ، لما أَنْزَلَ اللهُ فِيكَ، فَلَا تَقْرَبَنَّ مَسْجِدَ رَسُولِ اللهِ ، فَإِنَّكَ نَجِسٌ.

وَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ إِلَى أَخِيهِ زُوَيِّ بْنِ الْحَارِثِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ الْمَسْجِدِ إِخْرَاجًا عَنِيفًا، وَأَفَّفَ مِنْهُ، وَقَالَ: غَلَبَ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ وَأَمْرُهُ.

فَهَؤُلَاءِ مَنْ حَضَرَ الْمَسْجِدَ يَوْمئِذٍ مِنْ الْمُنَافِقِينَ، وَأَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِخْرَاجِهِمْ »(١).

• والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرحمة المهداة، كان يلجأ أحيانًا إلى الشدَّة والقوة في معاملتهم؛ ليضرب على أيدي بغاة الفتنة، ويُرهِب السَّاعين لإشاعة الفشل بين المسلمين لإحداث القلاقل بين صفوفهم.

فما كان يغيب عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن هناك صنفًا من الناس خَبُثَتْ سرائرهم، وفسدَت قلوبُهم.

يحسبون التسامح ضَعْفًا، ويظنُّون اللِّينَ جُبْنًا، ويعتقدون المِنحة غنيمة. هذا الصنف لابد من الغلظة والشدة عليهم حتى يقيَ الله تعالى الأمةَ شرورَهم.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: سيرة ابن هشام، تحقيق السقا، (١/ ٥٢٨، ٥٢٩)، بتصرف.

المبحث الخامس

حكمهم فى الدنيا والآخرة

• في الدنيا:

قد يقع المنافق في شعبة من شعب النِّفاق فيها حدٌّ من الحدود مثل: الرِّدَّة. فقد اعتبرها الشارع نفاقًا، وكالإفساد في الأرض له حدٌّ مبيَّن في الكتاب والسنة، وكالسرقة والزنا وحدِّ القذف، فهي جرائم يعاقب عليها الشرع، وهناك عقوبات تعزيريَّة، مثل:

١- عقوبة الوعظ، في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (النساء).

٢- عقوبة التوبيخ ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ أي قولًا رادعًا.

٣- عقوبة التهديد، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾ (الأحزاب).

٤- عقوبة التشهير، كما في قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (التوبة).

٥- عقوبة حرمانهم من الاجتماع في مكان ما يكيدون فيه للمسلمين، أو بهدمه، كما قام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهدم مسجد الضِّرار، وتحريم الإقامة فيه.

وقد دعاهم الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا إلى التوبة مرارًا، ولكنهم لم يرتدعوا، ودعاهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الإنابة كثيرًا، ولكنهم أصروا على الباطل والشرِّ والرذيلة، وأمر الله تعالى رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين بالقسوة عليهم، والشدَّة معهم، وامتهانهم، حطًّا من قدرهم، وردعًا لغيرهم، وألا يَحضر لهم جنازة، وألا يصلِّي على موتاهم، وألا يقوم على قبورهم.

• أما حكمهم في الآخرة:

فقد توعَّدهم الله جلَّ جلاله بعذاب أليم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (التوبة).

وقال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأحزاب).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ (النساء).

وما أعده الله تعالى لهم من عذاب في الآخرة، وما هيَّأه لهم من جحيم يُخلَّدون فيه، مُهانين مُعذبين مُستذلين. هل يكفي لصاحب عقل منهم أن يكون خليقًا بردعه، أو بردِّه إلى الصواب؟!

وهل ترتدع أفئدة خَلَتْ قلوبُها من التقوى والرغبة فيما عند الله تعالى من الرحمة ودخول الجنة؟!

هل تثوب إلى الرشد رءوس بلا عقول واعية، ولا أنفس مستبصرة؟!.

المبحث السادس

لِمَ لَمْ يقتل النبي ﷺ المنافقين؟!

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَقَدْ سُئِلَ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَنْ حِكْمَةِ كَفِّهِ عَلَيْهِ الصلاة والسلام عَنْ قَتْلِ الْمُنَافِقِينَ مَعَ عِلْمِهِ بِأَعْيَانِ بَعْضِهِمْ، وَذَكَرُوا أَجْوِبَةً عَنْ ذَلِكَ مِنْهَا مَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ { **أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** }(١)، وَمَعْنَى هَذَا خَشْيَةَ أَنْ يَقَعَ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَغَيُّرٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يَعْلَمُونَ حِكْمَةَ قَتْلِهِ لَهُمْ، وَأَنَّ قَتْلَهُ إِيَّاهُمْ إِنَّمَا هُوَ عَلَى الْكُفْرِ فإنهم إنما يَأْخُذُونَهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَظْهَرُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا قَوْلُ عُلَمَائِنَا وَغَيْرِهِمْ، كَمَا كَانَ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ مع علمه بسوء اعْتِقَادِهِمْ...

قال مالك: إِنَّمَا كَفَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: قوله تعالى: ﴿ **سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ﴾، ح (٤٩٠٥)، وأخرجه مسلم: ك: البر والصلة، ب: نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، ح (٢٥٨٤).

لِيُبَيِّنَ لِأُمَّتِهِ أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَحْكُمُ بِعِلْمِهِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: إِنَّمَا مَنَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَتْلِ الْمُنَافِقِينَ مَا كَانُوا يُظْهِرُونَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ مَعَ الْعِلْمِ بِنِفَاقِهِمْ، لِأَنَّ مَا يُظْهِرُونَهُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا { **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله** ﷻ }(١). وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ مَنْ قَالَهَا جَرَتْ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا، فَإِنْ كَانَ يَعْتَقِدُهَا وَجَدَ ثَوَابَ ذَلِكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَعْتَقِدْهَا لَمْ ينفعه جَرَيَانُ الْحُكْمِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَكَوْنُهُ كَانَ خَلِيطَ أَهْلِ الْإِيمَانِ: ﴿ **يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾** ﴾ (الحديد)....

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يقتلهم، لأنه لا يخاف من شرهم مع وجوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أظهرهم يتلو عليهم آيات مُبَيِّنَاتٍ،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: ﴿**فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ**﴾، ح (٢٥)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ح (٢٠، ٢١).

فَأَمَّا بَعْدَهُ فَيُقْتَلُونَ إِذَا أَظْهَرُوا النِّفَاقَ وَعَلِمَهُ الْمُسْلِمُونَ.

قَالَ مَالِكٌ: الْمُنَافِقُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الزِّنْدِيقُ الْيَوْمَ.

ثم قال ابن كثير: وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَتْلِ الزِّنْدِيقِ إِذَا أَظْهَرَ الْكُفْرَ، هَلْ يُسْتَتَابُ أَمْ لَا؟، أَوْ يُفَرَّقُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ دَاعِيَةً أَمْ لَا؟، أَوْ يَتَكَرَّرُ مِنْهُ ارْتِدَادُهُ أَمْ لَا؟، أَوْ يَكُونُ إِسْلَامُهُ وَرُجُوعُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ أَوْ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ؟ على أقوال متعددة »(١).

وقد يكون السبب أنهم كانوا أضعفَ من أن يُشهِر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجوههم سيفًا، وأتفهَ من أن يُعلِن عليهم حربًا.

لقد دبَّر المنافقون فتنًا ومكائد لو كتب لها النجاح لكان الإسلام في شأن آخر. لقد تفنَّنوا في الكيد للإسلام والمسلمين، ولكن الوحي كان يحبط كلَّ خُطَطِهم، ويكشف عن مخبوء مكرهم. فأي ضررٍ على الإسلام والمسلمين من كيدهم ما داموا يدبرون فيفضَحون، ويتآمرون فيفشَلون؟

وقد كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر بقتل المعانِد للدعوة،

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٨٩- ٩٠).

المقاوِم لها لشدة إيذائه، أو يأمر بالصفح عنه إن رأى الخير في ذلك.

فقد أمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتل النضر بن الحارث، لشدَّة إيذائه للمسلمين، وحربه للإسلام. وقد قالت بنت النضر فيه شعرًا تبكيه، وتمدح رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومنه:

أَمُحَمَّدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ ... فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرَقُ

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ

أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفِقَنْ ... بِأَعَزَّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ

فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرَّتْ قَرَابَةً ... وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

قال ابن هشام في سيرته: فيقال ـ والله أعلم ـ إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغه هذا الشعر قال: **{ لو بلغني هذا قبل مقتله لمننتُ عليه }**.

ولقد جاء في قتلهم آيات تُتلى. قال تعالى: ﴿**لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ**

تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الأحزاب). وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ (التوبة).

« وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ يَقُولُ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْعَنُ عَلَيْكَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَدِيثَ عَهْدٍ بِأَعْرَابِيَّةٍ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ ذَهَبًا وَفِضَّةً، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ لَئِنْ كَانَ اللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَعْدِلَ مَا عَدَلْتَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ ويلك، فمن ذا الذي يَعْدِلُ عَلَيْكَ بَعْدِي؟}**، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللهِ: **{ احْذَرُوا هَذَا وَأَشْبَاهَهُ، فَإِنَّ فِي أُمَّتِي أَشْبَاهَ هَذَا، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، فَإِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ، ثُمَّ إِذَا خَرَجُوا فَاقْتُلُوهُمْ }**.

وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ قتادة يشبه ما رَوَاهُ الشَّيْخَانِ فِي قِصَّةِ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ، وَاسْمُهُ حُرْقُوصٌ، لَمَّا اعْتَرَضَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ لَهُ: اعْدِلْ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ فَقَالَ: **{ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ }**. وفيه: **{ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ }** »(١).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ١١٤).

وهذا ليس بتشريع جديد إنما هي سنَّة الله، سنَّها في الأمم السابقة بأن يقتل الأنبياءُ المنافقين، ويُذلُّوهُم.

وأورد ابن هشام في سيرته: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بقتل المنافق (أبي عَفَك) عندما قال شعرًا يهجو فيه النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإسلامَ، فخرج سالمُ بن عمير فقتله.

وقام (عُمَيْرُ بنُ عُدَي) بقتل (عَصْمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ)، التي نافقت بعد قتل (أبي عفك)، وقد كانت تقول شعرًا تعيب فيه الإسلام وأهله، فأجابها حسانُ بنُ ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. فلما قتلها عُمَيرٌ قال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ نَصَرْتَ اللهَ وَرَسُولَهُ يَا عُمَيْرُ }**،... وَأَسْلَمَ، يَوْمَ قُتِلَتْ ابْنَةُ مَرْوَانَ، رِجَالٌ مِنْ بَنِي خَطْمَةَ، لَمَّا رَأَوْا مِنْ عِزِّ الْإِسْلَامِ (١).

(١) سيرة ابن هشام، تحقيق السقا، (٢/ ٦٣٦- ٦٣٨).

المبحث السابع

حكمة ربانية وسنة إلهية

لقد شدَّد نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النكير على أخيه هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ترك السَّامريَّ يدعو بني إسرائيل إلى عبادة العجل، في حين قال للسَّامريِّ: ﴿لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾.

وترك النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنافقين لَمَّا كذَبوا عليه بأعذار واهية في سبب تخلفهم في غزوة تبوك، وعاقبَ الثلاثة الذين صدقوا معه.

وقد أقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحدَّ (حدَّ القذف) على ثلاثة أو أربعة تناقلوا حادث الإفك، وبعضهم ممن شهد بدرًا، بينما لم يقمه على عبد الله بن أبي بن سلول الذي أشاعه، وتولى كبره.

ولعل الحكمة من ذلك: أن عذاب الآخرة أشدُّ وأبقى، وأن إقامة الحدِّ على هؤلاءِ، وعقوبتهم في الدنيا تُسقِط عنهم عقوبة الآخرة، وجريمة النِّفاق وخطره يلائمه أن يؤخِّرَهم الله تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار، وقد توعَّدهم الله تعالى بالدَّرْك الأسفل من النار، وهذا من عدل الله تعالى، أحكم الحاكمين، فلا

يجمع على عبد خوفين، فإن خافه العبد في الدنيا أَمَّنه الله يوم القيامة، وإن أَمِنَه في الدنيا أخافه يوم القيامة.

وقد تكون جريمة النِّفاق خيانة عظمَى للدين، وإفشاء أسرار الوطن (جاسوسية). فالشريعة تبيح دم هؤلاءِ، وإن النِّفاق يؤدي إلى أن يكونوا بغاة وجب قتالهم.

وإذا كانت جريمة المنافق تتفق مع جرائم الحدود أقيم عليه الحد، كالقصاص والزنا والسرقة والقذف، فإن تاب المنافق قبلت توبته، بشرط أن تكون الجريمة غير متعلِّقة بحقوق الأفراد.

وإذا كانت عقوبة جريمة من الجرائم تمسُّ حقًا لله فإن التوبة تُسقطها، إلا إذا طلب الجاني نفسه أن توقع عليه العقوبة، لأنها تطهير له (كما فعل ماعز والغامدية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا)(١).

❁ ❁ ❁

(١) راجع كتاب: التدابير الشرعية للمقاصد الضرورية (الدين. النفس. العقل. النسل. المال) للدكتور/ عبد الناصر بن جامع، فهي رسالة قيِّمة جدًّا في هذا الباب.

المبحث الثامن

المنافقون بعد الموت

- **الأرض تأبَى أن تضمَّ بعض موتاهم:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: [كَانَ مِنَّا رَجُلٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَرَفَعُوهُ، قَالُوا: هَذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ فَأُعْجِبُوا بِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُ فَوَارَوْهُ، فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، ثُمَّ عَادُوا فَحَفَرُوا لَهُ، فَوَارَوْهُ فَأَصْبَحَتِ الْأَرْضُ قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا، فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذًا](١).

فهذا طرحته الأرض على وجهها عبرة للناظرين.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ }**، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِنَ

(١) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٧٨١).

الْمُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ(١).

ومعنى { **بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ** }، أي: عقوبة له، وعلامة لموته، وراحة للبلاد والعباد منه.

وهذا يدل على شؤم النِّفاق وخطورته حتى أُمرت الريح والعواصف أن تهبَّ لأخذ المنافق ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾.

« فاللهم يا من أرسلت تلك الريح على هذا المنافق، أرسل ريحًا عقيمًا على منافقي زماننا، تقطع دابرهم، أو تلقي بهم في وادٍ سحيق، فيكونوا نهبًا للطير والسباع، فلا أرض تبكيهم، ولا سماء تندبهم، ... فأنت ولى ذلك والقادر عليه »(٢).

عن عمار بن ياسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أخبرني حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قالَ: { **فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ، سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ، حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ** }(٣).

❁ ❁

(١) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٧٨٢).
(٢) المنافقون في الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة د/ أبو أنس بن موسى(ص:٥٢).
(٣) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ح (٢٧٧٩).

• **المنافق وفتنة القبر:**

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ـ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ }**(١).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: ما جاء في عذاب القبر، ح (١٣٧٤)، ومسلم: ك: الجنة وصفة نعيمها، ب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ح (٢٨٧٠).

المبحث التاسع

المنافقون فى الآخرة

يتعرَّض المنافقون لعدد من مظاهر الخزي والعار والندم يوم القيامة: ومن ذلك:

- **عجزهم عن السجود لرب العالمين:**

وذلك يومَ القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين. قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ (القلم).

حينها يسجد المؤمنون لربهم يوم القيامة، ويبقى المنافقون فلا يستطيعون السجود، وهذا من أعظم الفتن والابتلاء والحسرة للمنافقين، ليخزيهم الله على رءوس الأشهاد.

ويظهر نفاقهم في الآخرة، فضيحة لهم في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: « يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالزَّلَازِلِ وَالْبَلَاءِ، وَالِامْتِحَانِ وَالْأُمُورِ العظام.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ: { يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا }(١).

وكان هذا جزاءًا وفاقًا لإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، دُعُوا إلى السجود فيها فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كلما أراد أحدهم أن يسجد يوم القيامة خرَّ لِقفاهُ عكس السجود، كما كانوا في الدنيا، بخلاف ما عليه المؤمنون.

• إطفاء نور الإيمان عن المنافقين على جسر جهنم، والتماسهم النور فلا يجدونه.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الحديد).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سُئِلَ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التفسير، ب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، (٤٩١٩)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: معرفة طريق الرؤية، ح (١٨٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٦).

[نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أَيْ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ،(١) وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا، أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ..](٢).

ونحو قول أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [... فيغشى النَّاسَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ يُقَسَّمُ النُّورُ فَيُعْطَى الْمُؤْمِنُ نُورًا، وَيُتْرَكُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَلَا يُعْطَيَانِ شيئا، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ

(١) وفي رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم (٧٤٧٣): {... مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ..}.

(٢) أخرجه مسلم: ك: الإيمان، ب: أدنى أهل الجنة منزلة، ح (١٩١).

﴿نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ (النور). فَلَا يَسْتَضِيءُ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ بِنُورِ الْمُؤْمِنِ، كَمَا لَا يَسْتَضِيءُ الأعمى ببصر البصير، ويقول الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (الحديد).

وَهِيَ خدعة الله التي يخدع بِهَا الْمُنَافِقِينَ ـ جزاءًا وفاقًا لخداعهم في الدنيا ـ حَيْثُ قَالَ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢).

فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي قُسِّمَ فِيهِ النُّورُ فَلَا يَجِدُونَ شَيْئًا، فَيَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ »(١).

قال الإمام ابن القيم في صفات المنافقين: « أَمْ كَيْفَ بِهِمْ إِذَا حُشِرُوا إِلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ؟ وَهُوَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ الْحُسَامِ، وَهُوَ دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، مُظْلِمٌ لَا يَقْطَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِنُورٍ يُبْصِرُ بِهِ مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ، فَقُسِّمَتْ بَيْنَ النَّاسِ الْأَنْوَارُ، وَهُمْ عَلَى قَدْرِ تَفَاوُتِهَا فِي الْمُرُورِ وَالذَّهَابِ، وَأُعْطُوا نُورًا ظَاهِرًا مَعَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، كَمَا كَانُوا بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَأْتُونَ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّيَامِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الْجِسْرَ عَصَفَتْ عَلَى أَنْوَارِهِمْ أَهْوِيَةُ النِّفَاقِ، فَأَطْفَأَتْ مَا

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠).

بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَصَابِيحِ، فَوَقَفُوا حَيَارَى لَا يَسْتَطِيعُونَ الْمُرُورَ، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ، وَلَكِنْ قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ الْمَفَاتِيحِ، بَاطِنُهُ الَّذِي يَلِي الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَمَا يَلِيهِمْ مِنْ قِبَلِهِمُ الْعَذَابُ وَالنِّقْمَةُ، يُنَادُونَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ مِنْ وَفْدِ الْإِيمَانِ، وَمَشَاعِلُ الرَّكْبِ تَلُوحُ عَلَى بُعْدٍ كَالنُّجُومِ، تَبْدُو لِنَاظِرِ الْإِنْسَانِ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ لِنَتَمَكَّنَ فِي هَذَا الْمَضِيقِ مِنَ الْعُبُورِ، فَقَدْ طُفِئَتْ أَنْوَارُنَا، وَلَا جَوَازَ الْيَوْمَ إِلَّا بِمِصْبَاحٍ مِنَ النُّورِ ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ حَيْثُ قُسِّمَتِ الْأَنْوَارُ، فَهَيْهَاتَ الْوُقُوفُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمِضْمَارِ! كَيْفَ نَلْتَمِسُ الْوُقُوفَ فِي هَذَا الْمَضِيقِ؟ فَهَلْ يَلْوِي الْيَوْمَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ؟ وَهَلْ يَلْتَفِتُ الْيَوْمَ رَفِيقٌ إِلَى رَفِيقٍ؟ فَذَكَّرُوهُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ مَعَهُمْ وَصُحْبَتِهِمْ لَهُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ.. ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾.. فَمَا الَّذِي فَرَّقَ بَيْنَنَا الْيَوْمَ، حَتَّى انْفَرَدْتُمْ دُونَنَا بِالْمُرُورِ؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ وَلَكِنَّكُمْ كَانَتْ ظَوَاهِرُكُمْ مَعَنَا وَبَوَاطِنُكُمْ مَعَ كُلِّ مُلْحِدٍ، وَكُلِّ ظَلُومٍ كَفُورٍ »(١).

❁ ❁ ❁

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٦٤).

المبحث العاشر

طرد المنافقين من المدينة النبوية

حتى الأرض الطيبة، والبلدة الحرام التي حرَّمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجعلها حرَمًا، مثل مكة (البلد الحرام) تنفي الخبث عنها. والمنافقون هم أول من يخرج إلى الدَّجال، ليلحقوا به في آخر الزمان.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ }**(١).

(١) أخرجه مسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: قصة الجسَّاسة، ح (٢٩٤٣).

المبحث الحادي عشر

أمثال المنافقين في الكتاب والسنة

وقد سبق الحديث عنها في ثنايا الكتاب، ونبدأ بـ:

*** الأمثال في القرآن الكريم:**

◘ قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (البقرة).

أي: لا يبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم، فتركهم في ظلمات الكفر، فهم لا يبصرون هدىً، ولا يستقيمون على حق.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: [هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِلْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَزُّونَ بِالْإِسْلَامِ فَيُنَاكِحُهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَيُوَارِثُونَهُمْ وَيُقَاسِمُونَهُمُ الْفَيْءَ، فَلَمَّا مَاتُوا سَلَبَهُمُ اللهُ ذَلِكَ الْعِزَّ، كَمَا سَلَبَ صَاحِبَ النَّارِ ضَوْءَهُ](١). ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾. فهذا مثل لصفة هؤلاءِ المنافقين.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٩٨).

◘ قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البقرة).

ـ مثل آخر للمنافقين، الذين يؤمنون وقت الرخاء، فإذا أحدقت بهم الشدائد، أو عُرِضَت عليهم الشُّبُهات كفروا ونافقوا.

◘ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (الحج).

وهو تأكيد لهذا الصنف من المنافقين ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (النور).

* الأمثال في السنة:

◘ مثلهم كمثل شجرة الأرز:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ

يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ }(١).

قال النووي: « قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ كَثِيرُ الْآلَامِ فِي بَدَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ مَالِهِ، وَذَلِكَ مُكَفِّرٌ لِسَيِّئَاتِهِ، وَرَافِعٌ لِدَرَجَاتِهِ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَقَلِيلُهَا، وَإِنْ وَقَعَ بِهِ شَيْءٌ لَمْ يُكَفِّرْ شَيْئًا مِنْ سَيِّئَاتِهِ، بَلْ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كامِلَةً »(٢).

◘ مثلهم في تذبذبهم كالشاة العائرة:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **{ مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً }**(٣).

والشاة العائرة: أي الحائرة المتردِّدة، ومنه سهم عائر: لا يُدرَى مَن رماه، والعائرة: أي السَّاقطة لا يُعرَف لها مالكٌ.

فالمنافق كالحِرباء المتلوِّنة، لا يعرف لها لون. قال الله تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم: ك: صفات المنافقين وأحكامهم، ب: مثل المؤمن كالزرع، ح (٢٨٠٩).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٣).
(٣) سبق تخريجه، ص (٨٥).

﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ (النساء: ١٤٣).

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ (البقرة).

◘ مثلهم كالريحانة إن قرءوا القرآن، وكالحنظلة إذا لم يقرءوه:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ }**(١).

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شبَّه المنافق حين يقرأ القرآن بالريحانة، ريحها طيب، وطعمها مُرٌّ، لأنه يقرأ القرآن ولا ينتفع به، وقد ينتفع به الآخرون المستمعون له، كما تفوح رائحة الطيب من

(١) أخرجه البخاري: ك: الأطعمة، ب: ذكر الطعام، ح (٥٤٢٧)، ومسلم: ك: صلاة المسافرين وقصرها، ب: فضيلة حافظ القرآن، ح (٧٩٧).

الريحان، ولكنه في ذاته لا يُنتفَع به لكونه مُرًّا.

وشبَّه المنافق الذي لا يقرأ القرآن بالحنظلة، طعمها مُرٌّ ولا ريح لها، والحنظل يضرب به المثل في المرارة، ولذلك شبَّه المنافق به.

إذن.. فهم يقرؤون القرآن، ولكنهم:

١. لا يتقبل منهم. **٢.** لا يؤثر فيهم ولا يُغير.

٣. لا يجاوز تراقيهم. **٤.** يقرءونه رئاء الناس.

obeikandl.com

المبحث الثاني عشر

طرق الوقاية من النِّفاق

النِّفاق الاعتقادي هو أعظم النِّفاق، ولا يُعلم إلا عن طريق الوحي، ولكن آثاره وأماراته تظهر على اللسان في الأقوال، وعلى الجوارح في الأفعال.

وقال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«٢٢٠٣- مَسْأَلَةٌ: مَنِ الْمُنَافِقونَ، وَالْمُرْتَدُّونَ؟ قَالَ قَوْمٌ: إنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَرَفَ الْمُنَافِقِينَ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ كَفَرُوا بَعْدَ إسْلَامِهِمْ - وَوَاجَهَهُ رَجُلٌ بِالتَّجْوِيرِ، وَأَنَّهُ يُقَسِّمُ قِسْمَةً لَا يُرَادُ بِهَا وَجْهُ الله - وَهَذِهِ رِدَّةٌ صَحِيحَةٌ فَلَمْ يَقْتُلْهُ»(١).

فالردَّة ليست إلا نفاقًا عقيديًّا من النوع الذي يأتي على العقيدة من جذورها... نفاقًا لا يستقر معه بنيان لفكرة، ولا بناء لإيمان.

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ

(١) المحلى بالآثار، للإمام محمد بن حزم (١٢/ ١٢٧).

﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ (النساء).

وأما النِّفاق العملي فهو من أعظم ما يهدِّد المسلمين، وهو في محصِّلته يصُبُّ في بوتقة النِّفاق الاعتقادي الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار، ما لم تتداركه عناية الله بتوبة نصوح. كما سيأتي.

وتتمثَّل طرق الوقاية من النِّفاق فيما يلي:

١ـ معرفة صفاتهم في الكتاب والسنة: (وقد ذكرنا معظمها بفضل الله تعالى في هذه الرسالة الموجزة)، فإذا عَرَفْتَ آفات النفاق، وخصال المنافقين وخصالهم فعليك أن تتجنبها، وتبتعد عنها، فمن لم يعرف الشرَّ كاد أن يقع فيه.

٢ـ تجنُّب اتباع الهوى، والتعصُّب لغير الحق.

٣ـ الرغبة في الآخرة، والشوق إلى الجنة: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الكهف).

٤ـ الإكثار من الاستغفار، والمسارعة إلى التوبة كلما أحدثت ذنبًا.

٥ـ اتهام النفس بالتقصير والنِّفاق حتى تجتهد في التخلص منه،

ولا تركن إلى الأمن من مكر الله تعالى.

٦ـ تجنب البدع ومرافقة المبتدعين، والحرص على اتباع السنة ومرافقة الصالحين.

٧ـ طلب العلم النافع، إذ به يعرف أهل الإيمان من أهل النِّفاق.

٨ـ الاجتهاد وتوطين النفس على الإخلاص لله تعالى، فلا يعمل عملًا صالحًا من أجل الناس، ولا يترك عملًا صالحًا من أجل الناس، وبذلك يتجنب الرياء والشرك.

٩ـ المواظبة على الأذكار والأدعية المأثورة، وكثرة ذكر الله تعالى، فالمؤمن هو الذي يذكر الله تعالى كثيرًا، والمنافق لا يذكره إلا قليلًا.

١٠ـ المواظبة على صلاة الجماعة في المسجد، والإتيان إليها مبكرًا، والمحافظة على خشوعها وسننها، وخاصة قيام الليل، فهو دأب الصالحين وهو يسير عليهم، بينما هو شاقٌّ على المنافقين.

١١ـ الخوف من ضعف الإيمان أو نقصانه أو الزيغ عنه، فيسأل الله تعالى الثبات على الدوام، ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴿٨﴾ ﴾ **(آل عمران)**، ويدعو الله تعالى دائمًا أن يطهِّر قلبه من النِّفاق، وأن يُبعِدَه عن النِّفاق والمنافقين.

١٢ـ الحرص على أن ألا يتلبَّس بصفات المنافقين، من كذب وخيانة، وخلف للوعد، وكراهية للجهاد، وموالاة للكفار، وتعطيل لشرع الله تعالى.

والذي يُعين العبد على ذلك هو استشعار عظمة الله تعالى، والحرص على سلامة قلبه من الآفات والأمراض.

١٣ـ الاعتزاز بالعقيدة والعبادة، والفخر باتباع السنة والتمسك بالدين، فمن اعتز بالله ﷻ دام عزه، ومن اعتز بميت فإن عزَّه إلى زوال.

قال تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ (النساء).

١٤ـ الحرص على تلاوة القرآن على الأقل مرَّة كل شهر عربيٍّ، والاجتهاد في فهم معانيه، والعمل به، والدعوة إليه، والجهاد به، والاستشفاء به، والتحاكم إليه. فكل هذه الأمور يسيرة يسَّرها الله تعالى على أهل الإيمان، وهي شاقَّة عسيرة على المنافقين.

١٥ـ حبُّ الإنفاق في سبيل الله تعالى، وإخراج الصدقات وأداء الزكوات، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

فالتعوُّد على هذه الخصال دليل على البراءة من النِّفاق.

المبحث الثالث عشر

توبة المنافق: هل للمنافق توبة؟!

نعم. إلا أن للتوبة شروطًا للانتفاع بها، وعلامات على قبولها، وهي:

١. توبة الله تعالى على عبده أولًا، وتوفيقه له بالتوبة، وإعانته عليها، والإخلاص فيها لله ﷻ.

٢. وقوع التوبة في زمن التوبة.

٣. الإقلاع عن الذنب.

٤. الندم على فعله.

٥. العزم على ألا يعود إليه.

٦. ردُّ المظالم إلى أهلها.

٧. فعل الحسنات الماحية: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

٨. تغيير بيئة المعصية وصحبة السوء، قدر الاستطاعة.

٩. الإتيان بالمكفِّرات، مثل: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطأ إلى المساجد، والاستغفار، وبرُّ الوالدَين، وصلة الأرحام.

١٠. الإخلاص في التوبة لله، والرغبة فيما عند الله وحده.

وقد أجملت كل هذه الشروط في توبة المنافق، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا

ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ (النساء).

تابوا: أي تخلَّصوا من النِّفاق، وأقلعوا عنه، وندموا على فعله، وصدقوا مع الله ﷻ.

أصلحوا: أي ردُّوا حقوق العباد إليهم، وأصلحوا ما أفسدوه بنفاقهم، وصاروا يتَّصفون بمكارم الأخلاق ومحاسنها بدلًا من صفات الخزي من جبن وكذب وشُحٍّ، وغيرها من الصفات الرَّديئة التي كانوا يتَّصفون بها.

اعتصموا بالله: أي تبرَّءوا من موالاتهم للكافرين ومحبَّتهم لهم، والرغبة فيما عندهم، والخوف منهم، واعتصموا بالله وحده وبكتابه، وبهَدْي رسولِه ﷺ، وحقَّقوا صفة الإيمان في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وأخلصوا دينهم لله: أي تابوا إخلاصًا لله ﷻ، لا طمعًا في مال أو منصب أو شهرة أو ثناء أومدح، فكانت توبتهم وإصلاحهم وصلاحهم واعتصامهم بالله كلُّ ذلك لله وحده لا شريك له.

obeikandl.com

خاتمة

إذا تأملت في كتاب الله تعالى وجدت أن شُعَبَ النِّفاق وصفات المنافقين تساوي شُعب الإيمان وصفات المتقين.

وقد تتساءل: ما هو دوري وموقفي مع المنافقين؟

فأذكِّرك باتباع ما يلي: (١)

(١) ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾.

(٢) عدم موالاتهم والركون إليهم.

(٣) جهادهم، والإنكار والشدة عليهم.

(٤) فضح وكشف ألاعيبهم، والتحذير منهم.

(٥) تربية الأبناء على معرفة صفات المنافقين، وتبيين خطورة النِّفاق لتجنبها، وحرص الدعاة والعلماء والخطباء على ذلك.

(٦) تضييق الخناق عليهم، وإشعارهم بأنهم أشخاص غير مرغوب فيهم، وذلك بهجرهم، وعدم الجلوس معهم أو التودُّد إليهم.

---

(١) انظر: المبحث الرابع من هذا الباب: كيف نتعامل مع المنافقين؟.

(٧) تجنب الجدال معهم، أو الدفاع عنهم.

(٨) عدم الإعجاب بهم أو بأموالهم أو أولادهم.

(٩) كشف مسمَّياتهم الجديدة الذين يعملون من خلالها: كالأحزاب العلمانية والليبرالية، والحداثة، والماسونية، وغيرها. وبيان أنهم { **دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها** }.

(١٠) العمل على تقوية شوكة المسلمين، وأخذ الدين بقوة، والاعتصام بحبل الله، ونبذ أي تفرق عليه، وإقامة شرع الله تعالى، والعمل على إقامة حدوده، ونبذ المحرمات، والدعوة إلى حجاب المرأة المسلمة، وحمايتها من الانتكاس وتقليد الغرب.

وبعد... فهذه رسالة موجزة:

ـ لمن أراد السلامة والنجاة، وأراد معرفة نفسه وغيره، ليعلم من يوالي ويُناصر ويصاحب، ومن يعادي، ويبغض، ويهجر.

ـ ولمن أراد التخلص من هذا الداء العضال (داء النفاق) ليفوز بخيري الدنيا والآخرة، ولتزكو نفسه حتى يهتدي إلى صراط الله مع عباد الرحمن.

obeikandl.com

*** ومن الدوافع لكتابة هذه الرسالة:**

أولا: خوفي على نفسي من النِّفاق، (والخوف من النِّفاق ليس نفاقًا، بل من أصول الإيمان).

ثانيا: ازدياد خطر النِّفاق والمنافقين، وازدياد نشاطهم بعد ما سُمِّيَ (ثورات الربيع العربي)، وما وقع في ظلِّها من فوضى عارمة في بعض البلاد العربية، والتباس أمر هؤلاء المنافقين على عوامِّ المسلمين، فلا يفرِّقون بين الإيمان والكفر والنفاق.

۞ ۞ ۞

ولقد وفقني الله ﷻ - بفضله وجوده وكرمه في إصدار كتاب عن التقوى والمتقين بعنوان:

(أهل الله وخاصته)

(الدرة المكنونة والغاية المنشودة)

وهذا الإصدار عن النِّفاق والمنافقين بعنوان: **(هم العدو فاحذرهم!)**. ويتبقى لي إن شاء الله أن أكتب عن الكفر والكافرين، كي يستبين لنا سبيل المتقين من سبيل الكافرين والمنافقين.

۞ ۞ ۞

واعلم وفقني الله وإياك:

أن مهمة الأقوياء في الأرض منع الظلم، ألم تسمع قول الله تعالى عن ذي القرنين: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءَ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ ؟! (الكهف).

وأنك لن تَسْلَمَ ويَسْلَمَ أمرُك إلا إذا كنتَ صالحًا مُصلِحًا.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ (هود).

والْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وكتبه

أسامة بن محمد بدوى البراجة

المراجع

١ـ تفسير ابن كثير.

٢ـ جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، تحقيق أحمد شاكر.

٣ـ أسباب النزول، للواحدي.

٤ـ لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي.

٥ـ سيرة ابن هشام. تعليق مصطفى السَّقا.

٦ـ المحلى بالآثار، لابن حزم.

٧ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد.

٨ـ صفة النِّفاق وذم المنافقين، لأبي جعفر الفريابي.

٩ـ مختصر شعب الإيمان، للبيهقي.

١٠ـ المنافقون في الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة، د. محمد ابن موسى آل نصر.

١١ـ عناصر البشر الثلاثة في سورة البقرة. (التقوى. الكفر. النِّفاق)، لعبد المعز بن عبد الحليم حسين.

١٢ـ شعب النفاق، عصام مرعي.

obeikandl.com

obeikandl.com

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الْمُقَدِّمَةُ ٣

الباب الأول: (نشأة النفاق والمنافقين)..... ٩

المبحث الأول: تعريف النِّفاق ١١

المبحث الثاني:الحكمة من وجود المنافقين ١٤

المبحث الثالث: متى بدأ النِّفاق؟..... ١٦

المبحث الرابع: عدد المنافقين وأصنافهم ٢٢

المبحث الخامس: شخصية المنافق ٢٦

المبحث السادس: طبقات المنافقين ٣٠

الباب الثاني: آفات النفاق وخصال المنافقين من خلال القرآن والسنة

الخصلة الأولى: الكذب في الحديث وكثرة الحلف..... ٣٤

يقولون ما لا يفعلون (عليم اللسان) ٤١

الخصلة الثانية: الخلف في الوعود، والغدر في العهود ٤٣

الخصلة الثالثة: الخيانة ٤٥

obeikandl.com

١ـ التجسس على الأعداء ٤٦
٢ـ إفشاء الأسرار للأمراء ٤٧
٣ـ مصانعة العدو ومصادقته ٤٩
٤ـ التآمر مع الأعداء..... ٥١
٥ـ الغَلُّ من الغنيمة..... ٥٤
الخصلة الرابعة: الفجور في الخصومة ٥٥
الخصلة الخامسة: الشحُّ والبخل ومنع الزكاة والماعون ٥٩
الخصلة السادسة: الجبن ٦٣
الخصلة السابعة: الخداع، والاحتيال على الدنيا بالدين ٦٧
الخصلة الثامنة: بغض أهل الإيمان والحقد عليهم ٦٨
الخصلة التاسعة: تثبيط الهمم وإيقاد نار الفتن وتخذيل أهل الإيمان... ٧٤
الخصلة العاشرة: المسارعة في الإثم والعدوان وأكل المال الحرام... ٨١
الخصلة الحادية عشرة: مذبذب ذو وجهين ٨٤
الخصلة الثانية عشرة: السفاهة والاستهزاء ٨٩
الخصلة الثالثة عشرة: قلة الاهتمام بمجالس العلماء ٩٣
الخصلة الرابعة عشرة: الردَّة ٩٤

obeikandl.com

الاضطراب والتردُّد في العقيدة ٩٥

الخصلة الخامسة عشرة: الرغبة عن حكم الله ورسوله ٩٧

صفة التحاكم إلى غير الله ٩٧

الخصلة السادسة عشرة: موالاة ومظاهرة أعداء الله ١٠٦

الإفساد في الأرض ١٠٨

الخصلة السابعة عشرة: الانشغال بالدنيا عن الجهاد ١١٠

عدم الصبر على الفتن والنكبات ١١٤

الخصلة الثامنة عشرة: مفارقة الجماعة المؤمنة ١١٦

الخصلة التاسعة عشرة: قلة الذكر والتكاسل عن أداء الصلاة ١١٩

عصيان الأوامر ١٢٣

اتباع الهوى ١٢٤

الرياء ١٢٥

الخصلة العشرون: ١ـ القدح في أعراض المسلمين ١٢٧

٢ـ إيذاء المؤمنين ١٢٨

٣ـ تتبع عورات المسلمين ١٣٠

٤ـ تعيير المسلمين ١٣١

obeikandl.com

٥ـ اللمز والغمز ١٣١

٦ـ البذاء ١٣٢

الخصلة الحادية والعشرون: الغيبة والنميمة وتقطيع الأرحام ١٣٦

الخصلة الثانية والعشرون: الطمع في الدنيا والزهد في الآخرة ١٣٩

الأنانية ١٤٠

الخصلة الثالثة والعشرون: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف..... ١٤٢

الخصلة الرابعة والعشرون: الريبة والشك (الرجس) والافتتان بالمعاصي واللذات ١٤٤

الخصلة الخامسة والعشرون: الغرور بالأماني ١٤٧

الخصلة السادسة والعشرون: الإكراه على البغاء ١٤٩

الخصلة السابعة والعشرون: لا يجاهدون في سبيل الله، ولا تنفعهم عبادتهم ولا قراءتهم للقرآن ١٥١

الخصلة الثامنة والعشرون: الجهل وقلة الفقه وسوء القصد ١٥٣

الخصلة التاسعة والعشرون: ثقافة العداء مع شعائر الإسلام ١٥٤

الخصلة الثلاثون: التبرج والخلع في النساء ١٥٥

وقفة: ملخص صفات المنافقين ١٥٩

obeikandl.com

الباب الثالث: خطورة النفاق والمنافقين، وكيفية معاملتهم ١٦١

المبحث الأول: خطورة النِّفاق ١٦٢

المبحث الثاني: فيمن كان يخاف على نفسه النِّفاق ١٧٢

المبحث الثالث: دور النِّفاق في الردة على عهد الصديق ١٧٧

المبحث الرابع: كيف نتعامل مع المنافقين؟ ١٧٩

أولًا: عدم المجادلة أو الدفاع عنهم ١٧٩

ثانيًا: النهي عن موالاتهم ١٨٣

ثالثًا: إخراجهم من ديوان المجاهدين ١٨٤

رابعًا: الأمر بجهادهم والغلظة عليهم ١٨٦

المبحث الخامس: حكمهم في الدنيا والآخرة ١٩١

المبحث السادس: لِمَ لَمْ يقتل النبي ﷺ المنافقين؟! .. ١٩٤

المبحث السابع: حكمة ربانية وسنة إلهية ٢٠٠

المبحث الثامن: المنافقون بعد الموت ٢٠٢

المبحث التاسع: المنافقون في الآخرة ٢٠٥

عجزهم عن السجود لرب العالمين ٢٠٥

إطفاء نور الإيمان عنهم على جسر جهنم ٢٠٦

obeikandl.com

المبحث العاشر: طرد المنافقين من المدينة النبوية... ٢١٠

المبحث الحادي عشر: أمثال المنافقين في الكتاب والسنة.. ٢١١

الأمثال في القرآن الكريم ٢١١

الأمثال في السنة (شجرة الأرز) ٢١٢

(الشاة العائرة) ٢١٣

(الريحانة إن قرءوا القرآن) ٢١٤

المبحث الثاني عشر: طرق الوقاية من النِّفاق ٢١٦

المبحث الثالث عشر: توبة المنافق: هل للمنافق توبة؟!..... ٢٢٠

خاتمة ٢٢٣

من الدوافع لكتابة هذه الرسالة ٢٢٥

المراجع ٢٢٧

فهرس الموضوعات ٢٢٩

انتهى بحمد الله تعالى

obeikandl.com